الحركة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني
المساجد و الكتاتيب – أنموذجا –

د ، دلباز محمد[1]

تعتبر المساجد من المظاهر والمنشآت المعمارية التي لو يمكن أن تخلوا منها أي مدينة من المدن الإسلامية فهي تمثل الصورة[2] الحقيقة للشريعة ويعتبر روح وجوهر العقيدة الإسلامية ومن السمات البارزة الدالة عليها.، ولقد ظهر المسجد بظهور الإسلام وقامت روح الدرس فيه منذ أن نشأ واستمر ذلك على مر السنين والقرون وفي مختلف البلاد الإسلامية دون إنقطاع ولعل السبب في جعل المسجد مركزا ثقافيا هو أن الدراسات الأولى كانت تهتم بتعليم الإسلام وهذه تتصل بالمسجد إتصالا وثيقا[3] مثل الفقه والتفسير ورواية الحديث[4].

ولقد كانت لهذه المساجد والجوامع دورا كبيرا في حياة المجتمع فقد كانت مركزا للعبادة إلى جانب كونها مدرة للوعظ والإرشاد الإجتماعي من خلال ما كان يلقى فيها من خطب كانت تدخل في إطار العبادات كما أن العناية بالمساجد كانت بارزة في المجتمع الجزائري المسلم فلا تكاد تجد قرية أو حيا في المدينة بدون مسجد فقد كان المسجد هو ملتقى العباد ومجمع الأعيان ومنشط الحياة العلمية الاجتماعية وهو قلب القرية في الريف وروح الحي في المدينة وهو الرابطة بين أهل القرية والمدينة أو الحي لأنهم جميعا يشتركون في بنائه كما كانوا يشتركون في آداء الوظائف فيه[5].

وهذا ما لاحظه الرحالة الغربيين الذين كتبوا عن المساجد حيث ذكر طوماس شاو " إن الإمام كان يصعد على المنبر يوم الجمعة يوم إجتماعهم الديني لشرح بعض الآيات من القرآن الكريم أو لحث المصلين على الرحمة والشفقة والقيام بالأعمال الخيرية"[6] وتختلف الإحصاءات عن عدد المساجد في المدن الجزائرية خلال العهد العثماني بل هناك إحصاءات تختلف فيها المساجد القديمة المؤسسة قبل العهد العثماني والمؤسسة أثناءه. فالتمغروطي مثلا إكتفى في حديثه عن مدينة الجزائر في آخر القرن العاشر (16) بقوله أن فيها:" الجامع الكبير وهو واسع وإمامه مالكي وفيه ثلاث خطب أحدها للترك

---

[1] كلية العلوم الاجتماعية و الانسانية، جامعة سعيدة

[2] – Danial noman , islam europe and empir , at the university prex edintrech , page 23

[3] – بن سحنون محمد، أداب المعلمين، تقديم وتحقيق عبد المولى، مطبعة الشركمة الوطنية للنشر والتنوزيع الجزائر بدون تاريخ ص3.

[4] عمامرة تركي رابح، رسالة المسجد في المجتمع الجزائري حوليات جامعة الجزائر ، العدد 03 –السنة 1986–1987–ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، ص74

[5] –سعد الله أبو القاسم ، –تاريخ الجزائر الثقافي في القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16–20م) الأجزاء 1 و2 و5، الشركة الوطنية للتوزيع، الجزائر، ص244.

[6] –shaw (Tomas): voyage dans la régence d'Alger ,traduit de l'anglais par g. maccartthy, bouslama, 2éme édition, Tunis. p101 édition

وإمامهم حنفي[1]" ومعنى هذا أن مدينة الجزائر على عهدلم يكن فيها سوى ثلاثة جوامع للجمعة منها الجامع الكبير (الأعظم) المالكي وجامع السفير الحنفي وجامع ثالث لعله جامع القشاش أو جامع سيدي رمضان الذي كان قديما أيضا.

وذكر هايدو في أواخر القرن العاشر هجري (16م) أنه كان يوجد في مدينة الجزائر على الأقل مائة مسجد كبير منها سبعة رئيسية[2] بينما ذكر Venture de porady أنه كان يوجد بمدينة الجزائر 12 مسجد أهمها الجامع الكبير الذي يوجد به مفتيان وقاضيان يجتمعان كل خميس للفصل في النزاعات بين الأهالي التي لم تفصل فيها المحاكم وتقسيم الميراث يدعى المجلس الشريف[3] Madglis el cherif وفي بداية القرن 13 عشر (19م) ذكر بناتي للإيطالي أن هذه المدينة كانت تضم تسعة جوامع و50 مسجدا[4].

كما ذكر ويليام ليتجو في القرن 11 عشر (17م) أن الجزائر كانت عامرة[5] بالمساجد وهذا يدل على أن المساجد كانت كثيرة غير أن لا أحدا من هؤلاء الرحالة والمؤرخين قد فصل في قدمها أو حداثتها

غير أن يفوص الذي يبحث في موضوع المؤسسات الدينية في مدينة الجزائر قال أنه قال أنه كان بها سنة 1246هـ/1830م زهاء 13عشر جامعا (جامع للخطب) ومائة وتسعة مساجد وهي إثنان وتسعون مسجدا مالكيا وأربعة عشر مسجدا حنفيا وهذا الاختلاف في الإحصاءات شمل أيضا حواضر مدينة الجزائر مثل قسنطينة وفي عهد صالح باي الذي إعتنى بإحصاء المساجد و ترميمها وتشييدها بلغت كما ورد في السجل خمسة وسبعين مسجدا وجامعا بالإظافة إلى سبعة مساجد تقع خارج المدينة. أما الورتيلاني فقد ذكر في رحلته " أنه كان بقسنطينة حوالي خمسة جوامع خطبة وأن بعضها كان متقن البناء"[6]

. واشتمل إقليم عنابة على سبعة وثلاثون مسجدا أشهرها جامع أبو مروان وشيد صالح باي الجامع الجديد سنة 1206 وهو الجامع الذي نقشت عليه هذه الأبيات:

---

[1]– سعد الله أبو القاسم المرجع السابق، ص246.

[2] – Diego , de haedo, topographie, et histoire génerale d'alger, « la vie à alger au seizieme siècle traductur de l' Espagnol et note de a berlrugger et Dr . Monnereau Presentation de abd A rrahmane rebahi .3em edition édition grand alger le vres 2007 page213.

[3] – de paradis ventures ,Alger au x v111em siecle .2em édition «édition bouslma –tunis page 157–158.

[4] – panenti page111

[5]– ليثجو ويليام، الجزائر في القرن السابع عشر لرحالة إسكتلندي، تقديم ميشال أبار ترجمة حنفي عيسى، مجلة الثقافة العدد 3، السنة الأولى 1391هـ –جويلية 1971م،ص 45.

[6]– الورتيلاني محمد السعيد، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار تقديم وتحقيق محمد بن ألشنب مطبعة بيار فونتانا سنة 1903،ص 685.

لعمرك بيت الله للستر جامع مشيد أركان به النور ساطع
بدت دونه زهر الكواكب رفعة به بونه للسعد فيها طالع
به جاد تاج الدين والمجد صالح إلى درج العلياء راف وطالع[1]

وإشتهرت بجاية بالمساجد العتيقة والحديثة ومن أحدثها ما أمر ببنائه مصطفى باشا سنة 1212 كما بنى أحمد القلي باي قسنطينة جامعاسنة 1170هـ، إمتنانا منه لأهل القل الذين ساندوه عندما كان آمنا عليهم.

وتذكر المصادر أنه كان بتلمسان في آخر العهد العثماني خمسون مسجدا أغلبها صغيرة وهناك من يعطينا رقما إجماليا للمدينة وضواحيها حيث بلغت ستون مسجدا[2] وأهمها المسجد الكبير والذي يوجد بوسط المدينة إضافة إلى هذا المسجد فقد كان هناك مساجد الأحياء وهنا نشير إلى مسجد سيدي بومدين ومسجد حي الحضر ومسجد المشور .

أما مساجد مدينة معسكر فأهمها المساجد الثلاثة الرئيسية مسجد السوق والمسجد الكبير أو جامع العين البيضاء وقد إستفاذت هذه المساجد من إصلاحات الباي محمد الكبير العمرانية والثقافية والمعروف أن هذا الباي قد شيد المسجد الكبير المعروف باسمه ويعتبر هذا المسجد أروع وأهم مساجد الإيالة[3] أما أهم مساجد الأحياء فنذكر منها حي عرقوب إسماعيل.

وتمثلت مساجد مازونة بعد المسجد المركزي في مساجد الأحياء الأربعة حيث أن كل حي كان يضم مسجدا وبلغ عدد مساجد ندرومة 12 مسجدا وأهمها المسجد الكبير الذي يوجد بحي التربيعة والذي يعود تاريخه إلى عهد المرابطين. أما المدية فقد كان فيها أواخر العهد العثماني حوالي أحد عشر مسجدا منها الجامع الكبير الذي يعود تاريخه إلى 1127 وجامع سيدي المزاري الذي بناه مصطفى بومزراق بيات التيطري والجامع الأحمر الذي شيده الباي حسين حوالي1213 ورغم وفرة المساجد فهذا لا يدل على العناية بها فقد سجل بعض المؤلفين والملاحظين ملاحظة حول إهمال المساجد والوقف عليها بما يحفظها ويصونها فقد كان يعرضها حزب وبعضها سيء البناء أصلا وبعضها محروما من الأوقاف لتجديده.

وقد إشتكى أحمد ساسي البوني إلى الباشا محمد كراش حزاب المساجد في عنابة وخلوها من المصلين والعباد في قوله:

خربت المساجد *** وقل فيها الساجد[4]

---

[1]– سعد الله أبو قاسم، المرجع السابق ،ص 247.

[2]– comal joseph : monographie de l'anfondissement de tlemcen in B.S.G.A.O T.V ;1887.page 107.

[3] – Georguos (a) notice sur le bey d'oran mohamed el kebir in RA N°1 Annee1856-1857 office de publication universitaire Alger ,page 408.

[4]– سعد الله أبو القاسم المرجع السابق ص249.

وجاء بعده الورثلاني وعز عليه عدم العناية بالمساجد وأوقافها خاصة بقسنطينة وبسكرة في قوله:" فلا تكاد ترى في مدائنهم مسجدا عظيما قد أحدث... ولا واهيا قد أصلح بل لو سقط شيئ من أكبر مساجدهم فأحسن أحوالهم فيه لو كان مبنيا من رخام أن يعاد بآجر أو جص وإن كان مجصصا أن يعاد بطين بحيث تجد المسجد كأنه مرقعة فقير هندي فيه من كل لون رقعة... ومن أدرى ما حال بمغربنا من الوهن إلا بسبب أمثال هذا"[1].

فالورتيلاني قد عاب على الجزائريين عموما والحكام العثمانيين خصوصا عدم اهتمامهم بالمساجد لأنها ملتقى العلماء محاولا أن يشد انتباههم إلى أهميتها في حياة الفرد والمجتمع آملا أن تصير هذه الأخيرة إلى مستوى مساجد تونس ومصر والحجاز .

وعلى ما يبدو فإن الورتلاني قد نجح في مقصده في استنهاض عزائم الوجهاء لتعويض هذا النقص وفي أواخر القرن الثاني عشر (18)عكف البايات[2] على تشييد المساجد وترميمها ووقف الأوقاف عليها فقد نهض صالح باي بقسنطينة يتدبر الأمر ويحصي المساجد وأوقافها ويحاسب الوكلاء القائمين[3] عليها وجد بعرضها وأنشأ لذلك مجلسا علميا خاصا للنظر في شؤونها.وبنى محمد الكبير الجامع الأعظم[4] بحاضرة معسكر في فاتح ذو القعدة سنة 1195هـ الموافق لنوفمبر 1781 من ماله الخاص وأوقف عليه أوقافا كثيرة .

لقد كان عدد المساجد القائمة ولو كانت في غير المدن الرئيسية كثيرا جدا إلى درجة أنه لا يحصى وهي بين كبيرة وصغيرة ذات أشكال وتصميمات هندسية بديعة[5]، كانت تلفت انتباه الرحالة وتثير إعجابهم خاصة المغاربة فقد أعجب العياشي بصومعة جامعة تمامين العالية جدا والتي تحتوي على حوالي مئة درجة .

وأشاد الدرعي بجامعة بسكرة الذي كانت له مئذنة في غاية الإتقان والطول في قوله:"والمسجد واسع جدا متقن البنا" كما أعجب الدرعي بمسجد عين ماضي وجوامع سيدي عقبة وأولاد جلال وتقوت وغيرها من المدن[6] والقرى كما أعجب الرحالة الأوربيون بهندسة بناء المساجد في المدن الجزائرية وزخرفتها

---

[1]– الورتيلاني ، المصدر السابق، ص266.

[2] – chitour chems eddine ,histoir religieusede l'algerie , l'indentite et la religier face à la modernité , enagedition distrubution– alger 2001 page 119.

[3] –G rangroud isabelle , la ville imprenable .une histoire sociale de constantine au 18em siecle, edition l'ecol des hautes étude en sience sociale paris 2002–258.

[4]– بلبراوات بن عتو، الإصلاح الثقافي للباي محمد الكبير بمدينة معسكر ، مجلة حولية المؤرخ، العدد3–4، السنة2005، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 1 نوفمبر، الجزائر. ص199.

[5] – Rozet et carette , Algerie ,l'état tripolition 2em édition , edition bouslans Tunis page 15.

[6]– سعد الله عبد القاسم ، المرجع السابق ص251

الجميلة بالفسيفساء والنقوش العربية،فرشها بالزرابي ذات الجودة العالية في أغلب الأحيان غير أنه بمجرد الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830 سارع الضباط إلى طمس هذه المعالم الحضارية وقد حولوا جامع كجاوة إلى كتدرائية وجامع علي بتشيني إلى كنيسة وجامع سوق الغزل بقسنطينة إلى كتدرائية أيضا كما قامو بهدم أغلب مساجد العاصمة مثل جامع السيدة وكذلك مساجد عنابة والمدية وقسنطينة[1] وغيرها من المدن الجزائرية.

وكانت مدينة الجزائر قبل العهد العثماني تحتوي على عدة مساجد كالجامع الأعظم أو الجامع الكبير[2] والذي ما زال يحمل نفس الإسم إلى اليوم وقد كان ذات أهمية خلال الحكم العثماني بالجزائر إذ كان المكان الذي تعقد فيه جلسات القضاء الأعلى أو ما كان يعرف بالمجلس الشرعي حيث كانت ترفع إليه القضايا المستعصية وكان يتألف من القاضيين والمفتيين المالكي والحنفي وكانت ترفع إليه النوازل والنزاعات الصعبة أي كان بمثابة محكمة استئناف تراجع فيه الأحكام وأحيانا كان يحضر المجلس حاكم الجزائر أو ممثل عن المؤسسة العسكرية والذي كان يعرف بيباشي وقد ورد ذكره في إحدى الوثائق المتضمنة قضية بث فيها المجلس العلمي حيث تم الإشارة إلى حضوره عند التطرق إلى الحكم ونص ذلك:

"...بمحضر المعظم محمد بيباشي الموجه من قبل العسكر المنصور لحضور المجلس المرقوم بتاريخ أواخر شهر رمضان قدره من عام خمسة ومائة وألف..."[3]

ومسجد سيدي علي رمضان الذي كان يقع في أعلى المدينة بالقرب من القصبة القديمة[4] وقد سمي على ولي صالح مدفون فيه وهو بسيط جدا ليس فيه أدنى زخرفة أما جامع القشاش[5] فقد كان يعتبر من أجمل جوامع مدينة الجزائر حسب ما ذكره هايد وألحق بزاوية عرفت باسمه[6] وهذا سنة 1069هـ- 1659م والتي اشتهرت بالتدريس خلال هذه الفترة والتي أشاد بها أبو راس خلال رحلته[7] وكانت المساجد بإيالة الجزائر خلال العهد العثماني يعتمدها ما هو تابع للمذهب المالك ومنها ما هو للمذهب الحنفي ويعتبر جامع "السفير" أول مسجد حنفي وقد نقشت على بابه الرئيسي "...وبعد فهذا مسجد عظيم ومقام كريم أسس على التقوى ببنائه وارتسمت على السعادة والتوفيق أرجاؤه وأركانه أمر ببنائه الفقيه إلى موكله

---

[1]- سعد الله عبد القاسم ، نفسه ص251

[2] -shrval –tal la ville d'alger la fin du xv111 em siecle édition CNRS paris 1998.page 191

[3]- الأرشيف الوطني ، سلسلة المحاكم الشرعية العلبة 76-1 الوثيقة رقم3 تاريخها 1099- (1688م) .

[4] - De voulx , op, cit , p173.

[5]- سعد الله أبو القاسم المرجع السابق،ص251

[6]- حسب هايدو فإن الجامع تأسس سنة 1579 ، من طرف أحد المرسكين الذي يسمى القشاش أنظر Haeda , topogailui page208

[7]- سعد الله أبو القاسم المرجع السابق،ص252

مملوك مولانا السلطان الكبير المعظم الشهير المجاهد في سبيل رب العالمين ، مولانا خير الدين أيده الله ونصره وهو عبد الله ونصره وهو عبد الله سبحانه صفو غفر الله ذنبه"[1] وقد كان تحفة من الفن المعماري فقد كان مدهشا بقبته البيضاوية وأعمدته القديمة ومحاربه المغطى بزليج فارسي جميل وما يميزه أيضا أنه بني خلال مدة تسعة أشهر فقط[2]. حيث شرع في بنائه في شهر رجب من عام 940هـ الموافق لشهر جانفي 1534م وانتهى بناؤه في شهر رجب 2 ربيع الأول من عام 941هـ الموافق لشهر 11 سبتمبر 1543م

كما تسابق الوجهاء العثمانيون في تأسيس مساجد للأحناف في كل عاصمة ، وجميعها كانت موضوعة تحت إدارة مؤسسة سبل الخيرات أبرزها الجامع الجديد.

وقد امتازت المساجد العثمانية بدقة البناء واستعمال الزليج والرخام في العرصات والمحراب والتأنق في المنبر وقناديل الزيت والزرابي الفاخرة والمزخرفة بالنقوش العربية والتركية على الجدران والعناية بالعيون والإضاءة والنظافو وكثرة الأوقاف.

أما مساجد الأهالي كانت في الجملة متواضعة، مبنية بالحبس أو الجص أو الحجد وقائمة على عرصات ضخمة وصوامع متحفة وليس فيها من الفرش سوى الحصير أو الزرابي البسيطة مع القليل من الإضاءة والعناية بالنظافة وهي في أغلبها المساجد المؤسسة قبل العهد العثماني[3].

وتختلف المساجد عن الجوامع، فهي في الغالب أقل جمالا وتأنقا، وكانت في معظم الجوامع توجد المكتبات الموقوفة على القراء والطلبة والأساتذة وتختلف الكتب الموقوفة كثرة وتنوعا، وفي بعض الأحيان لا تحتوي غير الكتب الدينية والصوفية كالقرآن الكريم وصحيح البخاري وتنبيه الأنام ودليل الخيرات وكتب الزرعية والأذكار، غير أن بعضها الآخر كان يحتوي على كتب في علوم مختلفة عن أدب وطب وفقه وتاريخ ورياضيات وغيرها، ومن أهم ما كان يلحق بالجوامع الكتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم للأطفال، والزوايا لمبيت الطلبة والغرباء، ومن التوابع الضرورية للجوامع المبيضات والعيون للطهارة والاستحمام[4].

وتختلف الجوامع في حجم موظفيها، فبعضها كان كثير الموظفين حتى تجاوز الستين موظفا، كموظف الجامع الكبير بالعاصمة، بيد أنه كان في بعض الجوامع لا يتجاوز عدد الموظفين فيها ستة ويظم موظفي الجوامع الوكيل والخطب والإمام والمدرس والمؤذن والحزاب وبعض القراء.

---

[1]– De voulx , op, cit , p187.

[2]– نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ الجزائر من أقدم عصورها إلى إنتهاء العهد التركي، نشر كلية الآداب ، الجزائر،1965، ص159.

[3]– سعد الله أبو القاسم، المرجع السابق، ص253.

[4]– سعد الله أبو القاسم، المرجع السابق، ص254.

كما كان موظفون بالجوامع يتقاضون راتبا خاصا حسب القدر والمكانة العلمية ويمكن أن نقف على ذلك من خلال ما حدده الخضر باشا في عقد التحبيس أوجه صرف مداخيل الأملاك المحبسة على الجامع الذي بناه سنة (15966–1597) حيث جاء فيه"أنه يدفع من هده المداخيل خمسون دينارا جزائرية خمسينية للإمام الخطيب في المسجد المذكور شهريا وكذا دينارين شهريا

للمحمدية(وهي صلوات على النبي–صلى الله عليه وسلم)وإلى متقرء كل أيام الاثنين والخميس بصورة دائمة، وثلاثة مؤذنين حنفيين، دينارين (أي 6 دنانير شهريا) وللذي يخرج الكتب يوم الجمعة ويعطي درسا دينارين، وللحزابيين التسعة الذي سيقرأ كل منهم حزب كت يوم بعد صلاة العصر تسعة دنانير، وللذي سيطلق بتنظيف قاعة الوضوء والمرحاض دينارين شهريا، ولشراء الزرابي عشرون دينارا سنويا[1] أي ثلاثين دينار لكل منهم ولمسير الحبس سليمان معتوق الباشا المذكور خمسة دنانير شهريا[2]"

أما جامع سوق الغزل في قسنطينة فقد كان موظفوه في عهد صالح باي موزعون على النحو التالي مع مخصصات لكل منهم.

100 ريال للخطيب 30ريال لرئيس المؤذنين

50 ريال للإمام 125 ريال لخمسة مؤذنين(25 ريال لكل منهم) 4ريالات لحامل عكاز(أو عصى الخطيب) 20 ريال لخمسة حزابيين(4ريالات تكل واحد منهم)[3]

28ريالا للمنظفين 48ريالا لمدرس المدرسة التابعة للجامع

40 ريالا لناظر الوقف (أو الوكيل) 144 ريالا لإثني عشر طالبا يحضرون دروس المجلس

لقد استفاد موظفو المساجد، والجوامع من تعيين رسمي فالداي أو خليفته يعين الموظفين بمدينة الجزائر، أو غيرها من حواضر دار السلطان، ويكتفي كل باي بتعيين الموظفين التابعين لبايلكه.

يرتبط التعيين الرسمي للموظف أنه يتلقى أجرا ثابتا من مداخيل الأوقاف والهدايا والعطايا خلال المناسبات، كما يتلقى نصيبا من الغنائم

وفي هذا الإطار تأتي محاولة الباي محمد الكبير لتعيين وترتيب الموظفين[4] بالجوامع وكانت على النحو التالي[5]:

أمام المسجد يتقاضى راتبا معلوما قدره أربعون ريال.

خطيب المسجد يتقاضى راتبا معلوما قدره أربعون ريال.

---

[1] – De voulx , op, cit , p23

[2] – De voulx , op, cit , p24

[3]– سعد الله أبو القاسم، المرجع السابق، ص255.

[4]– بلبراوات بن عتو، الإصلاح التقافي للباي محمد الكبير ، ص206

[5]– بلبراوات بن عتو، نفسه، ص 207.

مؤدنوا المسجدالأربعة عشرون ريال.

قراء القرآن في المسجد صباحا ومساءا وهم أربعة: عشرة ريالات

مدرس صحيح البخاري: أربعون ريال.

المدرسون الثلاثة للفقه والحديث والتفسير واللغة العربية عشرون ريال لكل واحد منهم.

مصحح ألواح الطلبة: أربعون ريال

وكيل المكتبة خمسة عشر ريال

راوي حديث اللغة يوم الجمعة عشرة ريالات

منظف بيوت الطهارة خمسة عشر ريالا

وكيل الحبوس أربعون ريال

وما يمكن التنبيه إليه أن رواتب هؤلاء الموظفين كانت تستخلص من عائدات كراء الأملاك المحبسة المبينة سلفا ولم ينس الباي محمد الكبير طالبة الجامع الأعظم حيث حدد أربعة سلطاني في كل سنة للطلبة الذين يحضرون دروس صحيح البخاري، كما كان للجامع الكبير موظفين كثر وأوقاف ضخمة، وإلى جانب موظفيه العاديين به إمامان للصلوات الخمس، وثمانية حزابيين لقراءة القرآن الكريم، وثلاثة وكلاء للأوقاف واحد منهم نائب للمفتي، الذي هو الوكيل الرئيسي والثاني وكيل أوقاف المؤدنين والثالث وكيل أوقاف الحزابيين، وثمانية منظفين، وثلاثة موظفين للسهر على الإضاءة أما خطبة الجمعة والعيدين فكان يتوكلها المفتي نفسه.

ومن أشهر المساجد في غير العاصمة نجد جامع الباي محمد الكبير بمعسكر الذي صممه تصميما بديعا وأوقف عليه أوقاف كثيرة حتى يكون في وضع ينافس به القرونين بفاس.

غير أن هناك ظروف حالت دون تحقيق ذلك منها:

نقل مقر عاصمة البايليك إلى وهران بعد تحريرها النهائي سنة 1792

التورة الدرقاوية التي صرفت الفتنة فيها عقول الناس.

الإحتلال الفرنسي لمعسكر الذي جاء بعد أقل من أربعين سنة من بناء الجامع وما ألحقه عن تخريبات به حسب تعبير سان هيبوليت في إنطباعه عن مدينة معسكر حين قال" كان لمعسكر مباني جميلة وقصر واسع جدا ومنازل أنيقة، ولكنها الآن جسيما مهدمة وفي حالة يرثى لها"[1].

أما في قسنطينة فمن أشهر مساجدها الجامع الكبير الذي بناه حسين بو حنك سنة 1156 وجامع سوق الغزل الذي صرف على بناءه الباي حسين بوكمية حوالي 1143هـ ، وجامع سيدي الكتاني الذي شيده صالح باي سنة1189 بالإضافة إلى جامع القصبة، وجامع سيدي علي بن خلوف، وقد إحتوى بعضها على زخارف ونقوش جميلة، كما أن بعضها كان مبنيا بالرخام والزليج المستورد من تونس أو من

[1] –Emerit marcel : Algerie a l’epoque d’abd el wahed, edition larose paris 1951, page 91

إيطاليا[1] فعكست هذه الأعمال أجمل التصميمات بها يتصحح مما سبق أن عدد المساجد في الجزائر خلال العهد العثماني كان معتبرا وقد إشترك في تأسيسه الأهالي والحكام العثمانيين بدوافع دينية مخصبة. كما أوقفوا عليها الأوقاف التي لم تسلم من الإختلاسات من السلطة أو من الوكلاء، غير أنها تعطينا الإحساس المشترك بين الجزائريين والعثمانيين بالإنتماء إلى الدين الإسلامي.

– الكتاتيب:

الكتاب بضم الكاف وتشديد التاء: موضع تعليم الكتاب(أي الكتابة) والجمع الكتاتيب والمكاتب.

وقد يستعمل ابن سحنون أحيانا كلمة مكتب عوضا عن لفظة كتاب.

ويظهر أن كلمة كتاب جمع كاتب فأطلق المكان على من يعمل فيه، وهو من باب إطلاق مظروف على الظرف[2].

والكتاب عبارة عن حجرة أو حجرتين مجاورة للمسجد أو بعيدة عنه، أو غرفة في منزل وأحيانا مجمعات من البيوت مختلفة الأحجام والأشكال بنيت خصيصا لتعليم القرآن الكريم، يبنيه صاحبه إحتسابا لله وطلبا للأجرة الآخرة، كما قد يبنيه المعلم أو يكتر به على مالكه يعلم فيه بأجرة يتقاضاها من أولياء التلاميذ[3] وقد بدأت هذه الكتاتيب القرآنية تظهر منذ صدر الإسلام بالمدينة، مثل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم إنتشرت في سائر البلدان الإسلامية[4] ومنها الجزائر حيث تحدث الجامعي الفاسي عن الكتاتيب القرآنية في مدينة الجزائر فقال:" ... وقد كان بهذه الحاضرة نحو مائة مكتب ملأى بالأولاد حيث أن المحل الذي لا يسع التلاميذ يجعلون فيه سدة يصعدون عليه الدرج يتعلمون القراءة والكتابة ويحفظون القرآن الكريم وحفاظه كثيرين"[5].

ولم يكن الكتاب منذ ظهوره حق الآن مؤثثا بفاخر الفرش وإنما أثاثه عبارة حصر مصنوعة من الحلفاء أو الدوم، ومجموعة من الألواح الخشبية تتبث بمسامير على الجدران تسمح بتغليفها [6]وكانت تستعمل للتعلم، وأقلام من قصب، وكمية من الصمغ مصنوع من الصوف المحروق وفضلات[7] الأبقار

---

[1]– سعد الله أبو القاسم، المرجع السابق، ص260.

[2]– بن سحنون محمد المصدر السابق، ص 68.

[3]– بن سحنون ، نفسه، ص 68.

[4]– بوعزيز يحيى، أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين– المجلة الثقافية، العدد 63، السنة الحادي عشر، رجب – شعبان 1401، ماي جوان 1981، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ص13

[5]– الجامعي الفاسي ، رحلة الجامعي نقلا عن مولاي بلحميسي، معاينة الجزائر من خلال النصوص العربية والأجنبية، مجلة الأصالة ، العدد 18 السنة الثانية ربيع الثاني، جمادى الأولى 1392، ماي– جوان 1972ص62.

[6] – boyer (p) la vie cotidienne à Alger a la ville de l’intervention francais libraire

[7]– بوعزيز يحيى ، المرجع نفسه ،ص14.

وكمية من الصلصال وجدار للماء وبعض الأواني البسيطة ومجموعة من المصاحف والكتب الفقهية والنحوية والصرفية السير وغيرها.

يلتحق الأطفال بالكتاب ما بين سن الرابعة والسادسة، حيث يتعلمون القراءة والكتابة وكانت معظم الكتاتيب القرآنية في الجزائر تحوي ما بين 15 و20 صبيا وكان كل حي في المدينة أو الريف يتولى تعيين معلم يشترط فيه أن يكون مثقفا وأن يكون رجلا خيرا[1].

والكتاتيب القرآنية بسيطة المظهر قليلة الإمكانيات المادية وأصحابها " الطلبة" و"المشايخ" من الطبقة الفقيرة جدا والكادحة، يتصدون لتعليم القرآن في هذه الكتاتيب للحصول على لقمة العيش أساسا ويستعملون العصا الخشبية الطويلة في معاقبة الثرثارين والمعرقلين لسير الدرس [2]والأغلبية منهم يحفظون القرآن دون فهمه، وينقلونه كذلك للأطفال خاصة في الأرياف[3].

والملاحظ أنه كان لسكان الجزائر عادة عند إلتحاق الصبي بالكتاب وهي تختلف من منطقة إلى أخرى ففي إقليم توات مثلا كان الصبي يدخل الكتاب عند بلوغه سن الرابعة فيرتدي أحسن الملابس ويوضع له الكحل في عينيه والطيب على جسده ويقام له حفل يحضر فيه أهله التمر والحليب، والخبز الرقيق المحلى بالسمن ويدعى لتلك المائدة رجال الحي وفي مقدمتهم تلاميذ المدرسة القرآنية ويخط له شيخه الحروف الأخيرة من سورة الإسراء، ثم يكتب الحروف العربية أ–ب–ت.... على لوحه، ثم يتناول الحاضرون اللوحة ليكتب كل واحد منهم حرفا من الحروف الهجائية تبركا بهم.

وهذه العادة دليل قاطع على حب الأهالي للتعلم ولاسيما إذا كان القرآن الكريم.

وقد تختلف من إقليم إلى آخر باختلاف الثقافة والأعراف.

والجدير بالذكر أن الكتاتيب توزعت توزعا كبيرا في إيالة الجزائرية وحي القصبة وحدها ضمت عددا منها مثل:

مسيد برقيصة

مسيد سيدي بوقدور وضريحه

مسيد سيدي ابن علي وضريحه

[4]مسيد الحمامات

---

[1] –Bayer (p) :op page 201.

[2] –Dan(pere francais) , histoir de barbarie et de ses corsaires .impremenrie et libririe du pierre rocolet , paris ,page28– haedo.op cit page 63 أنظر أيضا, 1695 petit de la croix memurie sur Alger– page 19.

[3]– بوعزيز يحيى المرجع السابق، ص15

[4]– الكتاب نوعان: بدوي وحضري ، فأما البدوي يسمى الشريعة أي مكان تدريس الشريعة وهو عبارة عن خيمة ممتازة وسط الحي البدوي تخصص للتعليم أما الحضري يسمى المسيد.

مسيد جامع الزاوية (زاوية سيدي أحمد الزهار)

مسيد حوانيت عبد الله

مسيد جامع سفير

مسيد التالية أندثر

ورغم المظهر المزري أحيانا لهذه الكتاتيب القرآنية وفقد أصحابها، ورغم الأساليب العتيقة المختلفة التي كانت تطبق، وتتبعه داخلها فإن دورها هام جدا في المحافظة على القرآن الكريم، وعلى الطابع الغزلي الإسلامي للجزائر شكلا ومحتوى لتتصدى هذه الكتاتيب بعد الإحتلال لإفشال سياسة التنصير والفرنسية[1].

[1]– بوعزيز يحيى، المرجع السابق، ص15.